الصراط المستقيم

قال تعالى :

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١ - ١٥٣.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية (1) :

" هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم ، فإنه لما نهى وأمر حذر هنا عن اتباع غير سبيله، فأمر فيها باتباع طريقه على ما نبينه بالأحاديث الصحيحة وأقاويل السلف ، وأن الذى ذكر في هذه الآية صراطى مستقيما .

والصراط : الطريق الذى هو دين الإسلام .

مستقيما : نصب على الحال ، ومعناه مستويا قويا لا اعوجاج فيه ، فأمر باتباع طريقه الذى طرقه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنة ، وتشعبت منه طرق ، فمن سلك الجارة نجا ، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار.

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي تميل .

عن عبد الله بن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا، ثم قال:

" هذا سبيل الله " ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال: " هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها " ، وأخرج ابن ماجه في سننه عن جابر عن عبد الله

(1) الجامع لأحكام القرآن – ج 7 ص 137 .

قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا ، وخط خطين عن يمينه ، وخط خطين عن يساره ، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال : " وهذا سبيل الله- ثم تلا هذه الآية – وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " وهذه السبل تعم سائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع ، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل ، ومظنة لسوء المعتقد.

وقال عبد الله بن مسعود : تعلموا العلم قبل أن يقبض ، وقبضه أن يذهب أهله، ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع ، وعليكم بالعتيق (القديم) .

وقال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: " وأن هذا صراطي مستقيما " فدخل فيه كل ما بينه الرسول ﷺ من دين الإسلام وهو المنهج القديم والصراط المستقيم، فاتبعوا جملته وتفصيله ولا تعدلوا عنه فتقعوا في الضلالات [1] ".

- وقال تعالى :

﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ الأعراف: ١ - ٣.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية [2] :

" يعنى الكتاب والسنة ، قال الله تعالى : " وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" أي اتبعوا ملة الإسلام والقرآن، وأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، ودلت الآية على ترك إتباع الآراء مع وجود النص .

- وقال الله تعالى على لسان إبليس :

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝١٦ ﴾ الأعراف: ١٦ .

أي بالصد عنه ، وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما هلك ، أو يضلوا كما ضل، أو يخيبوا كما خيَّب ، فالشيطان حريص كل الحرص على أن يقف أمام الطريق المستقيم ليصد المؤمنين عنه،

---

(1) التفسير الكبير ج 14 ص3

(2) الجامع لأحكام القرآن ج7 ص160 .

وليسلكوا بعد ذلك ما شاءوا في أقصى اليمين أو أقصى الشمال، لأنهم في الحالتين، إما تشددوا جداً في سلوكهم فحادوا عن الصواب ، أو ساروا في طريق المغضوب عليهم والضالين فخسروا آخرتهم، ويتأكد ذلك في سورة الفاتحة التي نقرؤها في كل ركعة في الصلاة ، ندعو فيها الله ، هدايتنا إلى صراطه المستقيم ، خير دليل ، على أن صراط الله المستقيم هو الطريق السليم الذي يجب على كل مسلم أن يبذل أقصى جهده لكي يلتزمه ، ولا يحيد عنه لا إلي اليمين – أي التطرف والغلو في الدين – ولا إلي اليسار – أي الملل والأفكار المنحرفة التي تخالف الدين في أصوله وما هو معلوم من الدين بالضرورة .

وهناك كثير من الآيات القرآنية، لها صلة بموضوعنا هذا – الحجاب – ولكن بطريق غير مباشر، وتدعونا إلى التفكير السليم وعدم التسرع في الحكم على الأمور ، والتيقن عند الحكم بحرمة شئ أو حله، بالعثور على الدليل الصحيح من القرآن الكريم أو السنة النبوية المشرفة، حتى لا نفترى على الله الكذب [1] ، وأن لا نأخذ حكمنا بناء على نص واحد سواء من القرآن الكريم أو من الأحاديث النبوية ، ولكن يجب تجميع كافة الآيات القرآنية وكذلك الأحاديث النبوية التى تكلمت في موضوع معين ، ومعرفة تفسيرها ومعناها ، والرجوع إلى المتخصصين في العلوم الشرعية حتى نتأكد من الحكم الصحيح، وأن نضع في اعتبارنا أن الفقهاء الكبار لم يكونوا متعصبين لآرائهم ، بل كانوا يقولون: " رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب "، فالتعصب في الرأي، ليس من طبيعة العلماء المتنورين.

لذلك فإن كثيرا من العلماء ، يتحرجون كثيراً عندما يفتون بحل أو حرمة شئ أو فعل معين، مصداقا للآية 116 من سورة النحل التى سبق أن اشرنا إليها، وأكد ذلك الإمام **القرطبي في تفسيره فقال** [2] :

أسند الدارمي أبو محمد في مسنده أخبرنا هارون عن حفص عن الأعمش قال:

---

(1) مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ النحل: ١١٦.

(2) الجامع لأحكام القرآن ج 10 ص 196 .

ما سمعت إبراهيم قط يقول حلال ولا حرام ، ولكن كان يقول: كانوا يكرهون وكانوا يستحبون. وقال ابن وهب قال مالك : لم يكن من فتيا الناس أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام، ولكن يقولوا : إياكم كذا وكذا ، ولم أكن لأصنع هذا ، ومعنى هذا أن التحليل والتحريم إنما هو لله عز وجل ، وليس لأحد أن يقول أو يصرح بهذا في عين من الأعيان ، إلا أن يكون البارئ تعالى يخبر بذلك عنه. وما يؤدى إليه الإجتهاد في أنه حرام يقول: إنى أكره " كذا "، وكذلك كان مالك يفعل اقتداء بمن تقدم من أهل الفتوى.

– وقد أشارت سورة يونس ، في ثلاث آيات شبه متوالية ، أن كتاب الله يشمل بإجمال أحكام الدين ، وأن الناس عليهم عدم إتباع الظن في حكمهم للأمور ، فقال تعالى في الآية 36 من سورة يونس :

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ يونس: ٣٦.

"وفي هذه الآية دليل أنه لا يكتفي بالظن في العقائد ، فالحق المنصوص عليه في هذه الآية هو اليقين وليس الظن كاليقين [1] .. "

وفي الآية 37 من السورة نفسها قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ يونس: ٣٧ .

قال القرطبي [2] : " التفصيل: التبيين، أي يبين ما في كتب الله المتقدمة ، وقيل: أراد بتفصيل الكتاب ما بُيِّن في القرآن من الأحكام ".

أي أن الرجوع للقرآن الكريم لمعرفة الأحكام ، هو الأصل ، فعندما يقول الله سبحانه وتعالى " وليضربن بخمرهن على جيوبهن "، ونعلم أنه من المتفق عليه لغة وشرعا أن المقصود بالجيوب، فتحة الصدر ، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى كان قادرًا على أن يضيف

(1) الجامع لأحكام القرآن ج8 ص 343 .

(2) المرجع السابق ج 8 ص 344 .

كلمة وجوههن أيضا ، أو يثبتها في الآية بدلا من جيوبهن "، لينحسم الجدل ولا يثور أي خلاف على تغطية الوجه ، إنما حرص الإسلام على تغطية الرأس بما فيها الشعر لزينته التي لا تخفى ، والتي تفنن فيها – للأسف – بعض النساء ، وحرص الإسلام على تغطية منطقة الصدر " جيوبهن" لما فيها من الفتنة المنهي عنها .

قال الفخر الرازى في تفسيره للآية 36 من سورة يونس السابق الإشارة إليها [1] :

" العقول مضطربة والحق صعب ، والأفكار مختلفة ، ولم يسلم من الغلط إلا الأقلون، فوجب أن الهداية وإدراك الحق لا يكون إلا بإعانة الله سبحانه وتعالى وهدايته وإرشاده ، ولصعوبة هذا الأمر قال الكليم عليه السلام بعد استماع الكلام القديم (رب اشرح لي صدري) وكل الخلق يطلبون الهداية ويحترزون من الضلالة ، مع أن الأكثرين وقعوا في الضلالة ، وكل ذلك يدل على أن حصول الهداية والعلم والمعرفة ليس إلا من الله تعالى .

– في سورة هود الآية 112 قال تعالى :

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ هود: ١١٢.

وقال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية [2] :

(فاستقم كما أمرت) هذه الكلمة كلمة جامعة في كل ما يتعلق بالعقائد والأعمال، سواء كان مختصا به أو كان متعلقا بتبليغ الوحي وبيان الشرائع ، ولا شك أن البقاء على الاستقامة الحقيقية مشكل جداً ، وأنا أضرب لذلك مثالا يقرب صعوبة هذا المعنى إلى العقل السليم ، وهو أن الخط المستقيم الذي يفصل بين الظل وبين الضوء جزء واحد لا يقبل القسمة في العرض ، إلا أن عين ذلك الخط مما لا يتميز في الحس عن طرفيه ، فإنه إذا قرب طرف الظل من طرف الضوء اشتبه البعض بالبعض في الحس ، فلم يقع الحس على إدراك ذلك الخط بعينه بحيث يتميز عن كل ما سواه .

([1]) التفسير الكبير ج 17 ص 90 .

([2]) التفسير الكبير للفخر الرازى ج 18 ص 70 .

إذا عرفت هذا في المثال فاعرف مثاله في جميع أبواب العبودية ، فأولها : معرفة الله تعالى وتحصيل هذه المعرفة على وجه يبقى العبد مصونا في طرف الإثبات عن التشبيه، وفي طرف النفي عن التعطيل في غاية الصعوبة ، واعتبر سائر مقامات المعرفة من نفسك ، وأيضا فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية حصل لكل واحدة منهما طرفا إفراط وتفريط وهما مذمومان، والفاصل هو المتوسط بينهما بحيث لا يميل إلى أحد الجانبين، والوقوف عليه صعب، ثم العمل به أصعب ، فثبت أن معرفة الصراط المستقيم في غاية الصعوبة ، بتقدير معرفته فالبقاء عليه والعمل به أصعب، ولما كان هذا المقام في غاية الصعوبة لا جرم قال ابن عباس: ما نزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية . ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : شيبتنى هود وأخواتها ، وعن بعضهم قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت له: روى عنك أنك قلت شيبتنى هود وأخواتها فقال : "نعم" فقلت وبأي آية ؟ فقال بقوله (فاستقم كما أمرت) .

ولخص الإمام القرطبي معنى الاستقامة في قوله [1] :

" الاستقامة هي الاستمرار في جهة واحدة من غير أخذ في جهة اليمين والشمال ، أي فاستقم على امتثال أمر الله ، والانتهاء عن الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ... ".

- أما قوله تعالى : في سورة يونس/ 39 :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يونس: ٣٩.

فقد اعترض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على الذين يكذبون ويعترضون على أشياء، رغم عدم علمهم الكامل لعناصر الموضوع ، وعدم جدهم واجتهادهم في طلب أسرارها وحقيقتها [2] .

- وقد نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الناس عن المجادلة بغير علم مكتسب ، أو هداية وبصيرة من الله أو دليل من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وذلك في قوله تعالى :

---

(1) الجامع لأحكام القرآ ج 9 ص 107 .

(2) بتصرف من التفسير الكبير للفخر الرازى ج17 ص98 ، والجامع لأحكام القرآن ج8 ص344 .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾الحج:٨.

كما نهى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الناس، عن إتباع ما ليس عليه دليل صحيح ، لأن الإنسان مسئول عن سمعه وبصره وفؤاده وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ الإسراء: ٣٦.

وقال في ذلك الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية [1] :

" أي لا تتبع ما لا تعلم. وقال قتادة : لا تقل رأيت وأنت لم تر وسمعت وأنت لم تسمع، وعلمتُ وأنت لم تعلم ، وقاله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ".

- قال تعالى في أول سورة المؤمنون، الآيات من 1 إلى 11 :

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ ﴾ المؤمنون: ١ - ١١.

" فقد حكم الله على الموصفين بالصفات السبع المشار إليها في هذه الآيات بالفلاح وهي:

1- الخشوع في الصلاة .
2- الإعراض عن اللغو .
3- أداء الزكاة .
4- حفظ الفرج .
5- الأمانة .

---

[1] ج10 ص 257 ، والفخر الرازى ج20 ص207 .

6- حفظ العهد .

7- المحافظة على الصلاة

ولم تتمم الآيات ذكر باقي العبادات الواجبة كالصوم والحج والطهارة لأن قوله تعالى : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) يأتي على جميع الواجبات من الأفعال والتروك، والطهارات دخلت في جملة المحافظة على الصلوات الخمس لكونها من شرائطها[1] ".

- كما قال تعالى في سورة الفرقان الآيات من 63 حتى 77 :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ..... ﴿٧٧﴾ ﴾ الفرقان: ٦٣ - ٧٧

وقال القرطبي تفسيره لهذه الآية :[2]

" ذكر الله عباد الرحمن وذكر صفاتهم وأضافهم إلى عبوديته تشريفا لهم "، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى العديد من صفاتهم ، التى بلغت أربع عشرة صفة هي :

1- يمشون على الأرض هونا ، تواضعا وسكينة .

2- معاملة الناس بالصفح والهجر الجميل وعدم معاملتهم بالمثل في حالة حدوث اعتداء عليهم بالقول.

3- قيام الليل.

4- الخوف والوجل من عذاب الله والدعاء إليه بالوقاية من النار.

5- عدم الإسراف في إنفاق الأموال.

6- عدم الإشراك بالله .

7- عدم الاعتداء على الغير.

8- عدم الزنا .

9- التوبة إلى الله والعمل الصالح.

---

(1) التفسير الكبير ج 23 ص 82 ، الجامع لأحكام القرآن ج12 ص 102 .

(2) الجامع لأحكام القرآن ج13 ص 67 .

10-عدم شهادة الزور ولا يحضرون مجالس الكذب والباطل.

11-عدم اللغو وكل سقط القول أو الفعل

12-عدم الغفلة عن القرآن وذكر الله .

13-الدعاء إلى الله بالولد والزوجة التى تقر بها عينيه.

14-تقوى الله والدعاء بأن يكون قدوة يقتدى به في الخير.

وأكدت السيدة / نعمت صدقى على أهمية لجوء الإنسان إلى الصراط المستقيم فقالت [1] :

" إذا رجع الناس إلى الصراط المستقيم ، وإذا تفهموا الحكمة في أوامر العليم الحكيم، وجدوا أنه تعالى لم ينه عن شئ إلا لما فيه عليهم من ضرر جسيم ، ولا أمر بشيء إلا وكان فيه لهم الخير العظيم، وأنه أراد أن يحفظنا ويربينا بشرائعه وآياته الكريمة " .

ويلاحظ أنه بالرجوع إلى الآيات السابق الإشارة إليها في سورة المؤمنون أنها ذكرت أن المؤمنين يتصفون بحفظ الفرج وآيات سورة الفرقان أشارت إلى أن عباد الرحمن يتصفون بعدم الزنا ، بالإضافة إلى الصفات الأخرى الطيبة التى يجب أن يحرص عليها المؤمن، وكذلك الصفات الأخرى التى يجب أن يتخلى عنها ، ولم تشر هذه الآيات أو تلك أو غيرها من الآيات القرآنية إلى ضرورة تغطية الوجه ، إنما ما ورد – كما سبق أن ذكرنا في أكثر من مناسبة – أن الأمر جاء للنساء ، بأن يضربن بخمرهن على صدورهن.

- العلماء كثيرون ، في شتى مجالات العلم ، ولكن يبرز منهم – كل في مجاله- علماء جمعوا بين العلوم التى حصلوها في مجالهم ، وبين فطنة وبصيرة ورجاحة عقل ، ونور رباني يجعلهم صائبون في أحكامهم ، وتجدهم غالبا على يقين عند الإدلاء بآرائهم واقتراحاتهم، ومن هؤلاء العلماء الربانيون، الذين أشارت إليهم الآية 79 من سورة آل عمران، في قوله تعالى :

" ... ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ".

---

(1) التبرج ص31 .

وقد جاء في الجامع لأحكام القرآن عند تفسيره هذه الآية [1] :

" والربانيون واحدهم رباني منسوب إلى الربَّ . والرباني الذى يُرَبّى الناس بصغار العلم قبل كباره ؛ وكأنه يقتدى بالرب سبحانه في تيسير الأمور؛ روى معناه عن ابن عباس قال بعضهم: كان في الأصل ربَّي فأدخلت الألف والنون للمبالغة ؛ كما يقال لعظيم اللحية : لِحْيَانِي ولعظيم الجُمة جُمانى ولغليظ الرقبة رَقَبانِى. وقال المبرد : الربانيون أرباب العلم، واحدهم ربان، من قولهم: رَبَّه يربه فهو ربان إذا دبره وأصلحه، فمعناه على هذا يدبرون أمور الناس ويصلحونها، والألف والنون للمبالغة كما قالوا ريان وعطشان، ثم ضمت إليها ياء النسبة كما قيل: لحياني ورقباني وجماني.

فمعنى الرباني العالم بدين الرب الذى يعمل بعلمه ؛ لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم. وقال أبو رزين: الرباني هو العالم الحكيم. وروى شعبة عن عاصم عن زر عن عبدالله بن مسعود " ولكن كونوا ربانيين " قال: حكماء علماء، ابن جبير: حكماء أتقياء. وقال الضحاك: لاينبغي لأحد أن يدع حفظ القرآن جُهده فإن الله تعالى يقول: "ولكن كونوا ربانيين"، وقال ابن زيد: الربانيون الولاة ، والأحبار العلماء، وقال مجاهد: الربانيون فوق الأحبار، قال النحاس: وهو قول حسن، لأن الأحبار هم العلماء ، والرباني الذى يجمع إلى العلم البصر بالسياسة، فهو راب ورباني على التكثير. قال أبو عبيدة : سمعت عالما يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي، العارف بأنباء الأمة وما كان وما يكون، وقال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة.

والربانيون هم أهل الذكر الذي أشار إليهم الله سبحانه وتعالى في سورة النحل/43، في قوله عز وجل :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النحل: ٤٣.

---

[1] ج 4 ص 122 .

وقد ورد في كتب التفسير معان كثيرة في أهل الذكر، منها أنهم (أهل التوراة، أو أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله تعالى ، أو أهل العلم بأخبار الماضين) باعتبار أن هذه الآية جاءت بعد آيات فيها إنكار الكفار للنبوة ، وعدم التصديق بالبعث والحشر إلا أن المعنى الذي نريد إبرازه هنا والذى ورد أيضا في كتب التفسير [1] أن الأمر بسؤال أهل الذكر يعنى سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق .

مما سبق يتضح أن الصراط المستقيم ومعرفة الحق والصواب يحتاج إلى جهد ومجاهدة، لذا فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى ، بالتوجه بالدعاء إليه ، مرات ومرات يوميا ، في الصلاة ، وجعله آية من سورة الفاتحة لطلب الهداية من الله إلى صراطه المستقيم .

فكلما التزم الشخص المنهج السليم ، وتعرف على الرأي الصحيح فهو على الصراط المستقيم، وكلما التزم بأوامر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأوامر الرسول ﷺ فهو على الصراط المستقيم ، وكلما اجتنب المعاصي صغيرها وكبيرها فهو على الصراط المستقيم... وهذا ما لا خلاف عليه ، فالكل يتفق على ذلك ، إنما المشكلة الأزلية تكمن في الاختلاف في فهم كيفية تنفيذ بعض الأوامر أو النواهي ، والاختلاف في الرأي له أسباب عديدة ، سنشير إليها فيما بعد ، إنما ما ندعو إليه ، هو أهمية الالتزام بالأوامر وتجنب النواهي بفكر واع ، يستلهم الأحكام من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ وما ورد من أقوال الصحابة وكتب السيرة الصحيحة ، ولا يأخذ الحكم من آية واحدة أو حديث واحد ، بل إن مجموع النصوص، هي التى توضح الحكم الصحيح الذي يجب عليه العمل .

فلابد لكل من يتعرض للفتوى أن يكون على معرفة بالعام والخاص ، والناسخ والمنسوخ، والمقيد والمطلق ، والمحكم والمتشابه، وأسباب النزول ، وأنواع الحديث النبوي ودرجاته ، إلى غير ذلك من علوم القرآن والحديث التى لا غنى عنها وعن فهمها الفهم الصحيح حتى يتمكن من استنباط الأحكام التى تتضمنها استنباطا صحيحا ، وحتى لا نترك

---

(1) الفخر الرازى ج20 ص 36 .

فرصة للنفس أو الشيطان أو لمفت جاهل ، أن يعطينا معلومة خاطئة ، تؤدى بالسائل إلى الخطأ والتمسك بأمور وتصرفات يجانبها الصواب .

لذلك فأدعوكم وأدعو نفسي ، إلى الإبتهال إلى الله دائما – بوعى وحضور قلب – في الصلاة – وكلما تيسر ذلك – بالهداية إلى الصراط المستقيم لأن فيها النجاة ، واكتساب الخير كل الخير في الحياة الدنيا والآخرة .